جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبــي القديم

لطلبــة السنــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضــرة السابعــة بعنــوان: قضيــة الصــدق والكـذب

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2020-2021

أولا: تعريف الصدق والكذب:

1-تعريف الصدق:

أ- **لغة:** عرفه ابن المنظور الصدق: "نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْداقاً. وصَدَّقه: قَبِل قولَه. وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق"[1].

ب- **اصطلاحا:** وقال الأصفهاني: "الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا"[2].

قال الباجي: "الصدق الوصف للمخبَر عنه على ما هو به"[3].

ويمكننا القول أن الصدق أيضا: "هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب"[4].

هناك فرق بين الصدق في الواقع والصدق في الفن، فالصدق الواقعي معناه أن يصف الشاعر الواقع الذي يراه بحيث أن يكون ما يلقيه من أفكار نابعة من واقع حقيقي ملموس يصوره الشاعر في شعره، أما الصدق الفني فمعناه أن يقتدر الشاعر على الكلمة ويملك زمامها ويتمكن من التصوير وأدواته ويقود الموسيقى ببراعة.

وقد يلتقي الصدق الواقعي والفني في قصيدة واحدة بمعنى أن يصور الشاعر حدثا حقيقيا ملموسا ويستخدم لذلك الكلمة الجميلة المعبرة والصورة البديعة الخلابة والموسيقى البديعة الرنانة ويكون انفعاله بالموقف انفعالا صادقا نابعا من شعوره ووجدانه وليس دخيلا عليه وحينئذ تكون القصيدة قد حاذت الجودة الفنية بكل المقاييس.

---

(1) ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، د ب ن، ط1، 01-01-1997م، ج10، ص193.

(2) أبو اليزيد أبو زيد العجمي: الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار السلام، القاهرة-مصر، 1428هـ-2007م، ص270.

(3) أبو الوليد االباجي: أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، د ب ن، ط2، 1995م، ج2، ص235.

(4) ابن عقيل: الواضح في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-1999، ج1، ص129.

2-تعريف الكذب:

أ- **لغة:** عرفه ابن المنظور قائلا: " الكَذِب نقيض الصِّدْقِ، كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وكِذْبًا. فهو كَاذِب وكَذَّاب وكَذُوب، تقول: كذَّبت الرجل، إذا نسبته إلى الكذب، وأكْذَبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب"[1].

ب- **اصطلاحًا:** هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطئًا ويعني أيضا الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل[2].

أما الكذب في الشعر هو كثرة استخدام الخيال، والصور البيانية، في عرض المعاني الشعرية، بحيث يفرط في توظيفها حتى تخرجه إلى الكذب المحض، أو أيهام الصدق.

وللكذب أيضا أنواع وأقسام منها: الكذب الإيهامي الذي هو ضرب من التأليف يحتمي فيه الشاعر بالإيهام والإراق والتهويل في القول لإيصال رسالته، والذي يوقعنا في كمين معنى غير المراد منه. وهو أسلوب مرده إلى إضمار المعنى بقول مغاير للحقيقة والواقع.

أما الكذب الفني الذي هو القول المتباين عن الواقع سواء في الشعر أو غيره من الفنون التعبيرية[3].

---

[1] ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، د ب ن، ط1، 01-01-1997م، ج1، ص704.

[2] ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت-لبنان، دط، 1379هـ، ج1، ص201.

[3] ك.ك. روثن: قضايا في النقد الأدبي، ترجمة عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة، د ب ن، ط1، 1989م، ص343.

ثانيا: آراء النقاد العرب القدامى حول قضية الصدق والكذب:

يُعدُّ أسلوبَا الغلوِّ والمبالغة مِن الأساليبِ البلاغيَّةِ التي دارتْ في فَلكِ ثُنائية الصِّدق والكَذِب؛ ذلك أنَّ الشاعر يَسْمُو بنفسه عن نقلِ الواقع بشكلٍ حرفي، بل يسعَى إلى محاولة إتمام نقْصه بالغلوِّ والمبالغة.

فالصدق ضدُّ الغلوِّ مِن الناحية الخُلُقية، أو لنقل: مِن الناحية الدينيَّة، وهو ما يَدفعُنا إلى القول بأنَّ الرجل يجعل الغلوَّ مِن الكذب، ويتعامَل معه على هذا الأساسِ مِن وجهةِ نظرٍ دِينيَّة خُلُقيَّة.

ولعلّ أولى الإشارات النقدية التي حاولت تقييم بعضا من الأشعار الجاهلية، نجد التفاتة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يرسم حدود الصدق في تقييمه لمديح زهير بن أبي سلمى إذ كان "لا يمدح الرجل إلا بما فيه"[1].

أي يمدحه بما يتمتّع به من سلوك وخصال ومعاملات حقيقية لا ممزوجة بالكذب والمبالغة والتهويل. وهي محاولة رسّخت لمنوال نقدي جديد يعتمد على التعبير الصادق في القول دون مواربة أو تحايل في المعنى.

أما ابن طباطبا العلوي فقد ارتكز في انتصاره لمبدأ الصدق في الشعر إلى الأشعار الجاهلية والإسلامية، وما كانت تجنح إليه من قول الصدق " مديحاً وهجاء، وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً [...] وكان مجرى ما يريدونه منه مجرى القصص الحق، والمخاطبات

[1] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، د ب ن، ط5، 1401هـ/1980م، ج1، ص80.

بالصدق فيحابون بما يثابون، أو يثابون بما يحابون"[1]، ومن شدّة نزوعه إلى الصدق، ضمّ عيار شعره قِسما سمّاه بـ: المثل الأخلاقية عند العرب وبناء المدح عليها.

أما لسان الدين ابن الخطيب، الذي ذهب إلى أنّ الكذب يتضاد و مبادئ الإسلام، فالمجيد من الشعراء في نظره من اهتم بـ "نصاعة اللفظ وقصَد الحق وقُرب المعنى وإيثار الجذاذ"[2].

ربط الصدق بالدين الإسلامي وما يحث إليه من دعوة لقول الصدق.

نجد الأمدي قدّم الصدق الفني على الكذب، وقد صرّح بذلك دون مواربة "لا والله ما أجوده إلا صدقه، إذا كان من يلخّصه هذا التلخيص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب"[3].

بعد إيراده مجموعة من الأبيات الشعرية لكلّ من البحتري وأبي تمام تخصّ ألم الفراق وصعوبته وما يتركه في نفسية الإنسان، فإعجاب الأمدي بجودة الأبيات وحسن التخلص الذي امتازت به، وكذا صدق معانيها، هو ما حدا به إلى الإقرار بأن أجود الشعر ما صدق معناه. وفي المقابل عاب بعض الأبيات التي سخف لفظها وشانت معانيها. كقول أبي تمام:

ما حسرتي أن كدت أقضي وإنما حسرات نفسي أنني لم أفعل

حيث علّق قائلا "وهذا لفظ ومعنى في غاية الضعف والاختلال والرّداءة"[4].

---

[1] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص15.

[2] لسان الدين بن الخطيب: السحر والشعر، حققه المستشرق الإسباني ج.م كونتنته بيرير، راجعه ودققه: محمد سعيد إسبر، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، ط1، جبلة–سوريا، 2006م، ص16.

[3] ابن بشر الأمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، د ب ن، ط4، د ت، ص58.

[4] المرجع نفسه، ص56.

هذا القول يعكس مدى عنايته بالألفاظ والمعاني سواء من حيث الجودة أو السخافة في تقييم الشعر والحكم عليه. كما يكشف سرّ تأييده لمبدأ الصدق الفنّي في الشعر، فكأنّه يريد أن يقول "أنّ أخير الشعر ما صدق معناه، وكذب أسلوبه.

حاول عبد القاهر الجرجاني، أن يعرّف معنى الصدق؛ حيث رجّح أن يكون المراد به "ما دلّ على حِكْمة يقبلها العقلُ، وأدبٍ يجب به الفضل، وموعظةٍ تُروِّض جماح الهوى وتبعث على التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال"[1].

كما أشار إلى أنّ المعاني العقلية المُعرقة في الصدق لا تحدّ من الطاقة الإيجابية التخييلية للصدق.

فهو صدق لا يلتجأ فيه إلى النقل الحرفي للواقع، بل يترك للشاعر حرية الإبداع والسفر بالخيال دون الخروج عن مقاييس العقل وضوابطه المتّزنة. بل التلطف والرفق في القول هي الرسالة التي حاول الجرجاني ترسيخها في أسرار بلاغته. وكأني به يريد أن يقول أنّ الشعر الصادق هو الشعر المخيّل الذي "يأتي على درجاتٍ[2].

حيث يعزّز الشاعر قوله بأوصاف أخرى لإضفاء جوانب فنية وجمالية على نصه الشعري، فما ميّز حديث الجرجاني عن ثنائية الصدق والكذب، هو أنّه لم يوغل في التطرق إلى مصطلحات الاستحالة العقلية، بل حدّها في الصدق الفنّي المبني على مقاييس العقل.

وقد رأى أرسطو أنّ الكذب في الشعر أكثر من الصدق، وذكر أنّ ذلك جائز وهو رأي حفّز الفرابي، للرّبط بين الكذب والشعر؛ وذلك أثناء حديثه عن الأقاويل أو القياسات، مشيرا إلى أنّ "الكاذبة بالكل لا محالة فهي الشعرية"، مبعدا الأقاويل الصادقة من صفة الشعرية؛

---

[1] عبد القادر جرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة–مصر، د ط، د ت، ص271.

[2] المرجع نفسه، ص267.

وكأنّه أراد أن يقول أنّ "الشعراء كذّب بالمهنة"[1]، بمعنى آخر إنّهم يحترفون الكذب ويستطيعون التصرّف في المعنى بحسب الموقف والسياق.

أما نظرة قدامة بن جعفر للكذب في الشعر، هو الغلو في القول الشعري بناء على ما استشفّه من الدراسات الشعرية لفلاسفة اليونان، وكذا ما استخرجه من الأشعار العربية القديمة معتبرا أنّ المراد بالغلو هو المبالغة، منكرا على من اعتبره خروجا عن الموجود والدخول في باب المعدوم. مشيرا إلى أنّ القصد منه وصول مرتبة التجويد في الوصف، وهو كذلك "تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له"[2].

فقد اعتبر الغلو واجهة شعرية تتيح للشاعر التوسّع في المعنى بغية إضفاء لمسة جمالية أخرى عليه، مادام أنّ الصدق في الشعر باب محدود المعاني، وتجاوزه إلى المبالغة وسيلة لاكتساب الشعر صفة الجودة. وهي رؤية تكشف أنّ الشعراء الذين انخرطوا في هذا الصنف من القول قد طوّروا من استعاراتهم "البيانية المتميزة إلى غلو من أجل المبالغة"[3].

وهو رأي لا يمكن اعتباره مقياسا، مادام هناك من الأشعار الصادقة المعنى التي لاقت استحسانا لجمالية ألفاظها وروعة وصدق معانيها.

أبو هلال العسكري، في توصيفه لهذه الإشكالية النقدية، ابتدأ بتقسيم المعاني إلى المستقيم الحسن والمستقيم القبيح، والمستقيم الكذب، والمحال الذي اعتبره ممّا يفسد الكلام، وهو تقسيم يبسط فيه الرأي عن خصوصية كلّ واحد منها، كما أنّه يشي أنّ الخروج إلى

---

[1] ينظر: أرسطو طاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ط، 1953م، ص151.

[2] ينظر: ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص49.

[3] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص202.

الكذب في الكلام قد يأتي في الشعر كما في الكلام العادي. متناولا خصوصية الشّعر وما بني عليه من صفات؛ مرشدا إلى أنّ أكثر الشّعر "قد بُنِيَ على الكَذِبِ والاستحالَةِ مِنَ الصفاتِ الممتنِعَةِ، والنُّعوتِ الخارِجَةِ عَنِ العادات، والألفاظ الكاذبةِ مِنْ قَذْفِ المُحصناتِ، وشَهادَةِ الزُّورِ وقَولِ البُهتان؛ لا سيَّما الشِّعرُ الجاهليُّ الذي هو أقوى الشِّعرِ وأفْحَلُه"[1].

وقد زكّى غلبته للكذب في الشعر، بقولة لأحد الفلاسفة، عندما سئل أحدهم "فُلانٌ يَكذِبُ في شِعرِه؛ فقالَ: يُرادُ مِنَ الشاعِرِ حُسنُ الكلامِ، والصِّدقُ يُراد مِنَ الأنبياء، وبين حسن الكلام وجودته لفظا ومعنى التي يجب أن تسم الشّعر حتّى وإن كان كاذبا إذ لا " يُراد منه إلاّ حُسنُ اللَّفظِ وجَودَةُ المعنى؛ هذا هو الذي سوَّغ استعمال الكَذِبِ وغيرِه ممَّا جَرى ذِكْره فيه"[2].

فالعسكري انتصر لمبدأ الكذب في الشعر؛ مميّزا فيه بين الاستحالة في الصفات، وما خرج عما ارتضته الجماعة من قوانين وأعراف يجيء بها الشاعر، وهي معايير استعملها الشعراء لتجويد صناعتهم الشعرية لفظا ومعنى.

---

[1] أبو هلال العسكرس: الصناعتين: كتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371ه/1952م، ص136-137.

[2] المرجع نفسه، ص137.